الأب جان موريس فييه، الراهب الدومنيكيّ، فرنسيّ أمضى حياته في خدمة الكنائس الشرقيّة لا سيّما السريانيّة منها، وهو من كبار المختصّين في شؤونها وعلومها، وعضو اللجنة الفاتيكانيّة للعلوم التاريخيّة. ومن مؤلّفاته، وجميعها بالفرنسيّة، كتاب عن «الموصل المسيحيّة»، وآخر في ثلاثة أجزاء عن «آثور المسيحيّة»، فضلاً عن مصنّف يعالج «أحوال النصارى في خلافة بني العبّاس»، نُقل مؤخّرًا إلى العربيّة وصدر عن دار المشرق.

أمّا كرّاس «الكنيسة السريانيّة الشرقيّة»، فقد ألّفه الأب فييه أصلاً ليُدرج في «موسوعة المعرفة المسيحيّة».

***

ناقل الكتيّب إلى العربيّة هو مدير «دار المشرق». درّس في الجامعة أصول الترجمة وله فيها كتاب، فضلاً عن مؤلّفات أخرى أدبيّة وروحيّة.

منشورات:
دار المشرق - ص.ب: ٩٤٦
بيروت، لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقيّة - ساحة النجمة
ص.ب: ١٩٨٦ - بيروت. لبنان

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
Church History:
Chaldean Church
Beth Mardutho Library

Ex Libris

George bar Anton d'beth Kiraz

1995

طُبع هذا الكتيّب بمساهمة عائلة جرجي نعمة الله عقّاد

موسوعة
المعرفة المسيحية
تاريخ الكنيسة
١

الكنيسة السريانية الشرقية

بقلم
الأب جان موريس فييه
الدومنيكي

نقله إلى العربية
الأب كميل حشيمه اليسوعي

دار المشرق
بيروت

لا مانع من طبعه

بولس باسيم
النائب الرسوليّ للاّتين
بيروت، في ١٩٨٩/١٢/١٩

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ١٩٩٠
دار المشرق ش م م - ص.ب. ٩٤٦، بيروت

ISBN 2 - 7214 - 4594 - 4

التوزيع
المكتبة الشرقيّة، ص.ب. ١٩٨٦
بيروت، لبنان

الكنيسة السريانيَّة الشرقيَّة

الكنيسة السريانيّة الشرقيّة هي أكثر الكنائس الشرقيّة شرقيّةً، كما أنّها إحدى أقدم الكنائس في العالم، إذ يعود تأسيسها إلى أواخر القرن الأوّل الميلادي أو إلى مطلع القرن الثاني.

البدايات

هل من الأكيد أنّ القديس توما الرسول مرّ، وهو في طريقه إلى الهند، ببلاد ما بين النهرين، وهدى فيها بعضَ الناس إلى المسيحيّة؟ الأمر الذي لا شكّ فيه أنّ البشارة بالإنجيل انطلقت من أورشليم وأنطاكية فوصلت إلى الرُها (أورفا الحاليّة) بواسطة القدّيس أدَّي (تدّاوس). ومن ثمَّ انتشرت الديانة المسيحيّة صُعدًا نحو أرمينية، ونزولاً إلى ما وراء حدود الإمبراطوريّة الرومانيّة، نحو بلاد الفرثيّين. وهناك، بالقرب من «المدائن الملكيَّة»، سَليق وطِيسْفُون (على بعد ٣٥ كيلومترًا من بغداد الحاليّة)، في مكانٍ يقال له

«كُوخِيه» (الأكواخ)، أقام ماري، تلميذ أدَّي، مركزَ الكنيسة العظيمة العتيدة.

اختلف الملوك الفرثيّون (من سلالة الأشكانيِّين أو الأرشاكيِّين) عن الأباطرة الرومانيّين، فكانوا في غاية التسامح، يتقبّلون بالترحاب سائر الديانات مهما اختلفت. لذا لم يَلْحق بالكنيسة في عهدهم أيُّ اضطهاد، فأتيح لها أن تزدهر وتتأصّل في أهمّ مدن الإمبراطوريّة وحتّى في الأرياف، وتمكّن خلفاء مار ماري (تعني كلمة «مار» بالسريانية «السيّد» وتُطلق على كبار الشخصيّات الدينيّة والمدنيّة) من تنظيم عدد من الإبرشيات في معظم البقعة التي تشمل اليوم العراق وإيران.

هل كان الكرسيّ الجديد تابعًا لكرسيّ أنطاكية؟ لا شكّ أنّ أنطاكية كانت تُعْتَبَر إحدى أمَّهات الكنائس العظمى (ولم يستعملوا بعد آنذاك كلمة «بطريركيّات»)، إلاّ أنّ المسافات التي كانت تفصل تلك المدينة عن مراكز الكنيسة السريانيّة الشرقيّة، وكذلك الاختلافات بين الإمبراطوريّتين، الرومانيّة والفرثيّة، لا تسمح بالتكلّم عن اتّباعٍ قانونيّ على نحو ما نفهمه اليوم.

وفي سنة ٢٢٦ تنحّت الإمبراطوريّة الفرثيّة أمام غزاةٍ توافدوا من الشرق، من إيران، هم الفرس الساسانيّون.

فأقام هؤلاء عاصمتهم خارج إيران، في «المدينتين الملكيّتين»، ثمّ جعل أوّل الملوك الساسانيّين، أردشير، كنيسة «الأكواخ» ضمن أسوار مدينةٍ جديدة أسّسها قربَ المدينتين الأُوليين وسمّاها «ڤيه أردشير» (ويقال لها بالعربيّة بهرسير). وعلى الرغم من أنّ مركز الكنيسة السريانيّة الشرقيّة كان في بلاد بابل القديمة، المعروفة حينذاك بـ«بلاد الآراميّين»، إلاّ أنّ وجود هٰذه الكنيسة في إمبراطوريّة الفرس كان سببًا لتسميتها بـ«كنيسة بلاد الفرس» لتمييزها عن «كنيسة بلاد الروم»، أي الكنيسة السريانيّة الغربيّة القائمة غربَ الفرات، ومركزها أنطاكية. وبدأت كنيسة مار ماري تعي هويّتها المميَّزة، بين عام ٣١٠ وعام ٣١٧، في أيّام رئيسها فافا.

وما إن أمسكت السلالة الساسانيّة بزمام الأمور حتّى عزمت على إحياء إمبراطوريّة الفرس الأخمينيّين. وفي سنة ٢٣٧ عَبَرَ أردشير حدود بلاد الروم واستولى على نصيبين وحرّان. ولم تتسبّب تلك الحرب بالأذى لمسيحيّي بلاد الفرس، لأنّ إمبراطوريّة الروم كانت حتّى ذلك الحين وثنيّة. إلاّ أنّ الأمور تفاقمت نحو سنة ٢٨٦ لّما قرّر الملك الفارسيّ بهرام الثاني، بتأثير من كرتير، رئيس كهنة زرادشت، إلغاء الديانات الأخرى وإفنائها. وكان أكثرَ المتضرّرين اتباعُ ماني، ولعلّ أوّل الشهداء السريان الشرقيّين قُتلوا في تلك الفترة، بيد أنّه لا

يمكن البتّ في الموضوع ولا أثر في الوثائق لأيّ اضطهادٍ مُعْلَن.

الاضطهادات

وبُعَيد الوقت الذي صارت فيه الديانة الزرادشتيّة ديانةَ الفرس الرسميّة اهتدى الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحيّة واعترف بها، فأصدر سنة ٣١٣ ما عُرف بمنشور ميلانو، وعمّمه سنة ٣٢٤ على القسم الشرقيّ من إمبراطوريّته. وكانت نتيجة ذلك، بالنسبة إلى المسيحيّين في بلاد فارس، أنّهم ممّن يُشتبَه في تواطئه مع العدوّ.

وما لبثت ردّة الفعل أن ظهرت، فراح الملك شابور الثاني (٣٢٩ - ٣٧٩) يضطهد المسيحيّين. وكانت الضحيّة الأولى رئيس الكنيسة السريانيّة الشرقيّة، الجاثليق شمعون برصبّاعي. وإنّما دعي جاثليقًا لأنّهم لم يستعملوا آنذاك كلمة «بطريرك». استشهد شمعون في ١٧ نيسان ٣٤١، ودام الاضطهاد أربعين سنة، وقُتِل خلاله، بحسب المؤرّخ سُوزُومانوس، ١٦٠٠٠ مسيحيّ بينهم اثنان من الجثالقة، هما شاهدوست وبربعشمين، وأساقفة عديدون، وكهنة وعلمانيّون.

وفي تلك الأثناء، التأم سنة ٣٢٥ مجمع نيقيا، المعروف بمجمع (الآباء) الثلاثمائة والثمانية عشر، وهو المجمع الذي

حرم آريوس لنكرانه ألوهيّة المسيح. وتمثّلت الكنيسة السريانيّة الشرقيّة في ذلك اللقاء بالمطران يوحنّا الفارسيّ، وخاصّةً بالمطران القدّيس يعقوب النصّيبي. ولدى عودة يعقوب من نيقيا، أوكل إلى الشمّاس أفرام (وهو الذي أصبح في ما بعد القدّيس أفرام، ملفان الكنيسة) إدارة مدرسةٍ لتعليم اللاهوت أسَّسها لتنشئة إكليروس كنيسته. وكانت نصّيبين آنذاك قد عادت إلى الإمبراطوريّة الرومانيّة، ممّا أتاح لأساقفة المستقبل أن يتدرّجوا فيها على الرغم من الاضطهاد القائم في بلاد الفرس. إلاّ أنّ هؤلاء أعادوا السيطرة على المدينة في عام ٣٦٣ بعد هزيمة الإمبراطور يوليان الجاحد، فانتقلت المدرسة، المعروفة آنذاك بـ«مدرسة الفرس»، إلى داخل الأراضي البيزنطيّة، إلى إديسا (الرها). ولسوف تعود سنة ٤٨٩ إلى نصّيبين حيث أسّس العلاّمة نرساي مدرسةً جديدة سنة ٤٥٧.

وتبع الاضطهاد الكبير الذي شنّه الملك شابور الثاني اضطهادات أخرى أطلقها خلفاؤه، إلاّ أنها كانت أقلّ عنفًا، ولم توقع ضحايا سوى بين المهتدين إلى المسيحيّة من الديانة الرسميّة. وظلّت كنيسة فارس تدفع ضريبة الدم حتى الفتح العربيّ.

الرهبانيّة

ظهرت الرهبانيّة في بلاد ما بين النهرين نحو آخر القرن الرابع، متزامنةً مع ظهورها في مصر. ولقد عُرف قبل ذلك مَن دُعوا بـ«أبناء العهد» و«بنات العهد»، أي مَن كانوا، بحسب التقديرات، مكرَّسين في البتوليّة، إلاّ أنّه لا يمكن التكلّم على جماعات أو أديرة قبل القرن الرابع.

ولئن لا تأتي المصادر السريانيّة القديمة على ذكر انتساب رهبان المنطقة إلى القدّيس أنطونيوس أو القدّيس باخوميوس، فهي تشير بالمقابل إلى «مطارنة وزهّاد يونانيّين» نُفُوا في أيّام الإمبراطور الرومانيّ ڤالانس (٣٦٤ ـ ٣٧٨)، فأسّسوا أديرةً في جبل المقلوب إلى شمال الموصل، وهو الجبل الذي سُمّي في ما بعد «جبل ألْفاف» (أو الألوف)، لكثرة ما حوى من الرهبان. وثمّة مصدرٌ آخر للرهبانيّة، يبدو أنه مار أَوْكِين، وهو مصريّ قيل إنّه جاء إلى المنطقة برفقة ٢٨ تلميذًا، ورُوي في ما بعد أنّهم سبعون على مثال عدد تلاميذ المسيح. وأخيرًا، ثمّة «أديرة قديمة» ذُكرت، غير أنّ تاريخ تأسيسها مجهول.

في مرحلة أولى ازدهرت الحياة الرهبانيّة ازدهارًا رائعًا بحيث عمّت الأديار مناطق العراق والخليج العربيّ وقسمًا من

إيران الحاليّ، ثمّ ظهرت فترةُ تراخٍ تعود بعضُ أسبابها إلى انتشار بدعة المسَّاليّين، القائلين بأنّ الصلاة تعوِّض عن كلّ شيءٍ، وبالتالي تسمح بكل شيء. إلاّ أنّ مُصلحًا، هو إبراهيم الكبير، قام في جبل إيزل، بالقرب من نصيبين، وانتشر عمل التجدّد في العراق حوالى سنتي ٥٦٢/٥٦١، بفضل كبير تلامذة إبراهيم، الراهب بَرْعِيتا. كما انطلقت دفعة أخرى من رهبان دير إبراهيم، حوالى ٥٨٢ ـ ٥٩٠، فاستعادت الأديار القديمة في بلاد أثور، وبنت غيرها جديدة.

جميع هؤلاء الرهبان قاموا بدور مهمّ في تهيئة أطر الكنيسة، إذ كان الأساقفة يُختارون من بينهم؛ ولكنّهم ساهموا أيضًا في إذكاء نار الخلافات الأخويّة خلال القرنين الخامس والسادس، وإنّه لأمر مؤسف. كما أنّ الحياة الرهبانيّة أفسحت في المجال أمام نشوء أدبٍ روحيّ وفير متنوّع؛ ونذكر من بين أعلام ذلك الأدب، على سبيل المثال لا الحصر، الأسقف المستقيل إسحق النينويّ والراهب يوحنّا الدلياتيّ المعروف بالشيخ الروحانيّ، وقد كانا مصدر وحيٍ للتصوّف الرهبانيّ، ويُسْتَشْهد بهما، إلى اليوم، في مصنّفات الكتّاب الروحيّين في مصر وحتّى في أوروبّا.

النزاعات العقائديّة والمجامع

على مسافاتٍ شاسعة من حدود فارس، في القسطنطينيّة والإسكندريّة، جرت أحداثٌ كان لها الأثر العميق في مصير الكنيسة السريانيّة الشرقيّة. فبطريرك القسطنطينيّة، نسطور، راح يعتمد على مؤلّفات ثيودورس المصّيصيّ المفسِّر وديودورس الطرسوسيّ، فواجه صعوباتٍ للتعبير عن الوحدانيّة والثنائيّة في المسيح. وفيما كان يقول بابنٍ واحد، ممّا يعني في الواقع أقنومًا واحدًا وطبيعتين، إحداهما بشريّة والأخرى إلٰهيّة، حاول أن يميّز بين «كِيانَيْن»، فقال بأنّ المسيح هو المسيح والله هو الله. إلاّ أنّ الكلمات السريانيّة لم توافق بمعناها الكلمات اليونانيّة موافقةً تامّة، فاتُّهم نسطور بأنّه جعل في المسيح أقنومين، وأنّه رفض تسمية العذراء مريم «أمّ الله». واستطاع خصمه في العقيدة - وعلى الصعيد الشخصيّ إلى حدٍّ ما - كيرلُّس بطريرك الإسكندريّة، أن يدفع مجمع أفسس إلى حرمه، سنة ٤٣١. وقد تمكّن اللاهوتيّون معاصرونا من القول بأنّ نسطور لم يكن في الحقيقة نسطوريًا، إلاّ أنّ التهمة كانت أُلصقت به وبقيت الوصمة.

وانبرى أوطيخا من ناحيته ينكر الثنائيّة ويشدّد على الوحدانيّة في المسيح، فهو أقنومٌ واحد وطبيعة واحدة، وقاوم،

هو ومحازبوه، قرارات مجمع أفسس، فاتُّهم بالمونوفيزيّـة، في حين لم يكن على تلك البدعة في شيء، إذ كان يعني بالطبيعة الواحدة الأقنوم الواحد. وحُرِم هو أيضًا في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١، وأُلصِقت التهمة ذاتها بالكنائس السريانيّة الغربيّة والقبطيّة، ثمّ الأرمنيّة.

والواقع أنّ الكنيسة السريانيّة الشرقيّة لم تصبح نسطوريّةً بين عشيّةٍ وضُحاها. ولم تصل إلى ذٰلك الحدّ إلاّ بين عامَي ٤٨٥ و٤٨٦، حيث كان تلامذة مدرسة الفرس قد تبوّأوا عددًا كبيرًا من الكراسيّ الأسقفيّة بتأثيرٍ من المطران برصوما النصّيبي، فتبنّت السينُودُسات آراء ثيودورس وديودورس بشكلٍ رسميّ. ولعلّه كان للأسباب السياسيّة أيضًا بعض الدور في تلك المواقف، إذ أُتيح «للفرس» بعد ذٰلك أن يقولوا بأنّهم لا يشاطرون «الروم» معتقداتهم. ومع ذٰلك فلم تتبع الجماعة كلُّها هؤلاء المطارنة «النسطوريّين». ففي سنة ٥٠٦ جاء عن أسقفٍ وكهنةٍ ومؤمنين أنّهم استعلموا الأرمن، الملتئمين في مجمع دْڤين، معتقداتهم. وفي عام ٥٤٠ رَسم الجاثليق الأرمنيّ أسقفين، على أقلّ تقدير، للرافضين. وما هو أهمّ من ذٰلك، أنّه نحو سنة ٥٥٩، أُعطي هؤلاء إكليروسًا «مونوفيزيًّا» على يد المطران يعقوب البرادعيّ، وقد عرَّفت الوثائق العربيّة مؤيِّديه السريان الغربيّين بلقب «اليعاقبة».

واستمرّ الصراع بين «النساطرة» و«اليعاقبة»، لا سيّما في صفوف الرهبان، وراحت الإبرشيّات تنقسم على ذواتها وتتمزّق. ولم تستقرّ الحال على الجبهات إلاّ عام ٦٢٩ لمّا تدخّل الإمبراطور هِرَقل فاحتلّ سائر مناطق العراق الشماليّ، ممّا أتاح قيامَ سلطةٍ للكنيسة السريانيّة الغربيّة، مرجعها بطريركيّة أنطاكية، في المنطقة الخاضعة للبيزنطيّين.

آخر سِني الساسانيِّين

كانت أيّام الملك كسرى الثاني أبرويز (٥٩١ ـ ٦٢٨) فترةً عسيرةً للكنيسة في بلاد الفرس. فالجاثليق سَبْرِيشُوع الأوّل (٥٩٦ ـ ٦٠٤) حَرَمَ جبرائيل السِنجاريّ، كبيرَ أطبّاء الملك، لتزوّجه امرأتين. فاغتنم جبرائيل نفوذه في البلاط، بعد أن شفى الملكة شيرين من عقمها، فحصل سنة ٦٠٩ على قرارٍ ملكيّ يمنع تعيين جاثليقٍ بعد موت خليفة سبريشوع، غريغوريوس المسيانيّ. وبقيت كنيسة سَلِيق لا رئيس عليها حتّى سنة ٦٢٨، في حين اشتدّت الخلافات بين المونوفيزيّين يدعمهم جبرائيل، وبين النساطرة. وقد سعى الطبيب بأحد اللاهوتيّين من الحزب الآخر، واسمه جورجيس، من بيت عابي، فقُتل صلبًا عام ٦١٣ لأنّه ارتدّ عن المجوسيّة. وعلى

الرغم من ذلك استطاع المطران الشجاع يوناداب الأربيليّ أن يَحُول دون انتشار المونيفيزيّة في منطقته الأديابِين، واشترك في مناقشةٍ مع «اليعاقبة» جرت في بلاط كسرى عامَ ٦١٢.

وممّن اشتهر، أكثر من سواه في تلك الفترة، الثريُّ الكبير، صاحب ديوان المال وغنائم الحرب، يازدِين الكـركوكيّ، إذ نجح في تبديل موقف الفُرس من المسيحيّين بعد أن ناصبوهم العداء، بسعي من اليهود، إبّان فتح القدس سنة ٦١٤. فقد تمكّن يازدين من الحؤول دون هدم قبر المسيح وأتاح ترميم عـددٍ من الكنائس. وكـان بودّه أن يحتفظ لنفسـه بـذخـيرة الصليب الحقيقيّ، غـير أنّ كسرى تطيَّر واحتفظ بهـا لنفسه وأودعهـا، مع بقيّـة ما سبـاه، في قلعة ابتنـاها إلى جنـوب المدائن الملكيّة، وقد استكشفها علماء الآثار العراقيّون في المحلّة التي يقال لها «تلّ الذهب». ومعلومٌ أنّ الفرس أُجبِروا على إعادة الذخيرة المقدّسة إلى البيزنطيّين سنة ٦٣٠ على إثر انتصارات هرقل.

جاثليق عظيم: إيشوعياب الثالث

إنّ إيشوعياب هو نموذجٌ لأحبار تلك الحقبة الفاصلة. فقد كان أسقفًا لنينوى في آخر أيّـام بني ساسـان، ومطرانًـا على

أربيل إبّان الاحتلال البيزنطيّ، وجاثليقَ المدائن بعد الفتح العربيّ. وُلِد لأبٍ ملاّك في ضواحي أربيل، وتعلّم في مدرسة نصّيبين اللاهوتيّة، وترهّب في دير بيت عابي الكبير، ثمّ شارك منذ سنة ٦٣٠، مع أبرز وجوه عصره، في الوفد الذي أرسلته ملكة الفرس بُوران إلى الإمبراطور هِرَقل. ولّما كان في نينوى، استطاع أن يمنع تأسيس كنيسةٍ سريانيّة غربيّة، ولم يقبل بالانكفاء عن خطوط النضال الأماميّة ليصبح مطرانًا على مسقط رأسه، إلاّ عندما اعتنق المطران السابق بدعة المونوفيزيّة. ومن أربيل راح يحارب مركزًا جديدًا أسّسه المونوفيزيّون في تكريت ويرعاه «كبير المطارنة» (إذ لم تدرج بعد كلمة «مفريان»). وحُفِظت إلى يومنا رسائل لإيشوعياب تتيح لنا أن نتتبّع نشاطه خلال تلك السنين. وبالإضافة إلى ما سبق من أشغاله، وجد هذا المطران الهمّام متّسعًا من الوقت لإعادة تنظيم الطقوس السريانيّة الشرقيّة. ولّما انتهت إليه الجثلقة، عام ٦٤٩، عمّم على كنيسته جمعاء إصلاحه، وهو ما زال معتمدًا إلى يومنا. وفي تلك الأثناء، سنة ٦٣٥، فتح العرب المسلمون المدائن، فكانت علاقات البطريرك بهم على خير ما يرام، وروى المؤرّخ ماري أنّه «كتب له بعضهم سجلاً بترك التعرّض له في دياراته وكرسيّه وخراجه وبرآت أصحابه وقوطع على ذلك شيء يسير».

إلاّ أنّ سنوات إيشوعياب الأخيرة لم تسلم من الكدر والأحزان. فقد حزّ في قلبه انشقاقُ أساقفة الفرس والبحرين، وخاصّةً تحوُّلُ سكّان عُمان إلى الإسلام بسبب الضرائب الباهظة التي فُرِضَت على من أراد البقاء على مسيحيّته، وهي بحسب ما رواه البلاذري نصف غلالهم من الحبوب والتمر.

وتوفّي إيشوعياب الكبير سنة ٦٥٩.

الإسلام

إفتتح المسلمون «المدائن الملكيّة» عام ٦٣٥. ولدى وصولهم، تركوا لكلّ طائفةٍ مسيحيّة ما وجدوا لديها من المعابد. إلاّ أنّ المصاعب ما لبثت أن واجهت كِلا الكنيستين السريانيّتين، الشرقيّة والغربيّة. فمن جهةٍ كان عليهما الحدُّ من ارتداد المؤمنين الذين رأوا أنّه من الأسهل اعتناق الديانة الجديدة، لا سيّما أنّ النزاعات العقائديّة، وما عقبها من تمزّق في جسم الكنيسة، زعزعت إيمان الكثيرين. ومن جهةٍ أخرى كان الرؤساء الدينيّون يسعون إلى كسب رضى الفاتحين لِما يخدم مصالحهم وينقص من مصلحة أخصامهم. فالكنيسة السريانيّة الشرقيّة ساءها أن تفقد قسماً من مؤمنيها على إثر تحوُّلِهم إلى الكنيسة السريانيّة الغربيّة صاحبة الحظوة لدى البيزنطيّين بعد ٦٢٨ في مناطق الفُرس السابقة، فحاولت

استعادة المكانة المميّزة التي نعمت بها في أغلب الأحيان على عهد الفرس. أمّا الكنيسة السريانيّة الشرقيّة، فكانت ترغب في الاحتفاظ بما نالته من امتيازات على يد الإمبراطور هِرَقل.

واستمرّت المنازعات بين الإخوة خلال العهود العربيّة، إن خفَّ عنفها ظاهرًا، زادت خبثًا في الباطن، تذكّي أوارَها الوشاياتُ المتبادلة. وكان من السهل على السريان الشرقيّين اتّهام الغربيّين بالدعاء من أجل انتصار الروم، ما دام بطريرك أنطاكية يقيم في بلاد البيزنطيّين. وأدّت تلك الانشقاقات المحزنة إلى إضعاف الكنيستين يومًا بعد يوم وتقليص عدد المؤمنين فيهما.

إلاّ أنّ الكنيسة السريانيّة الشرقيّة تمكّنت من أن تستعيد شيئًا فشيئًا تقدّمها على الجماعات المسيحيّة الأخرى. وتمَّ لها ذلك بصورة رسميّة سنة ٩١٣، لّما نال البطريرك إبراهيم الثالث أبرازا من الخليفة المقتدر قرارًا يقضي بتقدُّم جاثليق النساطرة على رؤساء اليعاقبة والملكيّة. ولقد كرَّر الخلفاء العبّاسيّون اللاحقون العمل نفسه، وقطعوا للجثالقة عهودًا مماثلة. ذلك بأنّ بني العبّاس كانوا في تلك الأثناء حلّوا محلّ الخلفاء الراشدين والأمويّين وانتقل مركز الإسلام من دمشق إلى العاصمة الجديدة، مدينة السلام، بغداد، التي أسّسها

المنصور سنة ٧٦٢. وما عتّم البطاركة السريان الشرقيّون أن انتقلوا هم أيضًا إليها، في حين ظلّ مركزهم الرسميّ، لا سيّما بالنسبة إلى سيامة الجثالقة ودفنهم، في كنيسة كُوخِه بالمدائن. وما زالت آثار ذٰلك المعبد ظاهرةً للعيان حتّى اليوم.

البطريرك الكبير طيمثاوس الأوّل

عاصر طيمثاوس خمسة خلفاء، بعضهم من الأعاظم كالرشيد والمهدي، فأدار شؤون الكنيسة السريانيّة الشرقيّة من عام ٧٨٠ حتّى ٨٢٣. وأكثر علاقاته كانت مع المهدي، على ما رواه في إحدى رسائله التي وصلت إلينا، حيث قال: «إنّ المقابلات مع الخليفة كانت تجري باستمرار، وكانت حينًا في شؤون الدولة، وحينًا لإرواء الظمإ إلى الحكمة الذي كان يشتعل في صدر الخليفة فهو ودود ويحبّ تعلّم الحكمة متى وجدها عند غيره». وطلب المهدي من طيمثاوس أن ينقل «طوبيقا» أرسطو من السريانيّة إلى العربيّة؛ كما أنّه جرى بين الخليفة والبطريرك محاورةٌ دينيّة حول مواضيعَ شائكةٍ كالمسيح وموته على الصليب، والثالوث، ونبوءة محمّد، وقيمة نصّ التوراة والإنجيل. والمحاورة هٰذه انتهت إلينا وهي تُظهر حرّيّة المناقشة التي سادت في ذٰلك الزمان.

وفي عهد الرشيد كانت الملكة زبيدة تُجلّ طيمثاوس عظيمَ الإجلال، وأهدته أقمشةً فاخرةً، وآنيةً من ذهب وفضّة.

وبالنسبة إلى الحياة الداخليّـة، وصلت الكنيسة السريـانيّة الشرقيّة، في أيّام طيمثاوس، إلى أوج ازدهارها. فقد شجّع البـطريرك نشـاط المرسَلين كـلَّ التشجيع وبعث بـرهبان إلى الجهـات الشرقيّة لينقلوا بشـارة الإنجيل، علمًا أنّ الكنيسـة السريانيّة الشرقيّة دخلت الهند والصين قبل ذلك، كما يبيّنه لنا النصب الذي عُثر عليه في سِي كْنان فُو، وتاريخه سنة ٦٣٥. وازداد الانتشار في عدّة مناطق بهمّة طيمثاوس، وقد نظّم ستّ مطرانيّاتٍ جديدة لكلّ منها عددٌ من الأساقفة التابعين: الـريّ (قرب طهـران) وتركستـان، والمناطق المجاورة لبحـر قزوين، أي غيلان والديلم ومُقان، وأرمينيا والشام. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ راهبَين نسطوريَّين فارسيَّين حملا إلى الغرب بذارًا لشجر التوت وبيضًا لدود القزّ أخبآها داخـل قضيبٍ مجوَّف.

ونشطت أيضًا في عصر طيمثاوس حركةٌ واسعة للترجمـة، نقلت إلى العربيّة علوم الإغريق، من رياضيّات وفلك وطبّ وفلسفة. ولئن نبغ بعض النقلة الروم كالبطريق وابن البطريق وسواهما، أو سريان غربيّون، فيلاحَظ أنّ السواد الأعظم من

النقلة الكبار كانوا نساطرة يعملون انطلاقًا من نصوص نُقلت قبلاً إلى السريانيّة. وكان هؤلاء العلماء يجمعون بين الطبّ والنقل، وسواء درسوا في بلاد الرومَ كحُنين بن إسحٰق، أو في جنديسابور في إيران كسلالة بني بختيشوع، كانوا، على مسيحيّتهم، يحظون بحماية، لا بل بصداقة، الخلفاء والوجهاء؛ وفي كتاب «طبقات الأطبّاء» لابن أبي أصيبعة الكثير من الأمثال على ذلك. واجتمع هؤلاء النقلة يعملون في «خزانة الحكمة» التي أسّسها الخليفة المهدي وأصبحت في ما بعد، على عهد المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٩)، مركز الترجمة المسمّى «بيت الحكمة». وعاصر طيمثاوس أولى سنوات تلك الخبرة، كما أنّه كان لهؤلاء الأطبّاء والمترجمين فضل كبير في حماية المسيحيّة بحيث استطاعت الاستمرار في البقاء والازدهار.

من وفاة طيمثاوس إلى سقوط بغداد (٨٢٣ ـ ١٢٥٨)

وانقضت أربعمائة سنة، وإذا بالترك، ثمّ بالبويهيّين الفرس، يسيطرون على الخلفاء العبّاسيّين فتنقرض رقعة دولتهم بضربات القرامطة أوّلاً، ثمّ بانفصال سائر أجزاء المملكة، لا سيّما بتأسيس الخلافة الفاطميّة عام ٩١٠. وفي العراق أسّس

الخليفة المعتصِم سنة ٨٣٦ لمرتزقته الأتراك، على نحو مائة كيلومتر من بغداد إلى الشمال، مدينة سامرّاء الجديدة التي صارت العاصمة حتّى سنة ٨٨٩. ونَقل إليها الجاثليقُ سركيس الأوّل كرسيَّه عامَ ٨٦٠.

وطوال تلك الفترة تمكّنت الكنيسة السريانيّة الشرقيّة من البقاء بفضل الأطبّاء والكتّاب المسيحيّين. ومن الجدير ذكرُه أنّه عُهد إلى أحد المسيحيّين دُلَيلٍ بن يعقوب، تعميرُ الجزء الشماليّ من سامرّاء، مدينة المتوكّل، سنة ٨٥٩. غير أنّ هٰذا الخليفة، المعروف بمزاجيّته (فالنصوص التي تذكره تكرّر العبارة التالية: «غضِب على» . . .)، اختلف مع طبيبه بختيشوع، فطرد المسيحيّين من سامرّاء سنة ٨٥٣، وفرض عليهم أن يرتدوا ألبسةً مميَّزة. وهو الذي أوحى إلى الجاحظ، بواسطة حظيِّه التركيّ الفتح بن خاقان، تأليف «الردّ على النصارى» للحطّ من قيمة المسيحيّين في أعين المسلمين المعجبين بعلمهم والمتأثّرين بثرواتهم. ولكنّه بدَّل من موقفه مرّةً أخرى لدى وفاة طبيبه المفضَّل، يوحنّا بن ماسويه النصرانيّ، فاستدعى الجاثليق ورَبعَه إلى سامرّاء عام ٨٥٩.

وعلى الرغم من اضطراب الأحوال في تلك الحقبة، نبغ عددٌ كبير من المؤلّفين السريان الشرقيّين. فبرز بين اللغويّين

إيشُوع برعلي وابن سَرُشَوَيه وابن بهلول، وبين مصنِّفي الترانيم خاميس بن قرداحيّ وجبرائيل قَمْصا وجورجيس وردة، وبين المؤرّخين توما المرجيّ وإيشوع دناح البصريّ والكاتب المجهول لتاريخ سعرت؛ كما برز البطريرك الشاعر إيليّا أبو حليم، واللاهوتيّان إيليّا النصّيبي وعبد يشوع النصّيبي المشهور أيضًا بمعارفه في ميدان القانون، وسواهم كثيرون ملأت كتاباتُهم صفحات المراجع الأدبيّة السريانيّة وما زالت تشهد على حيويّة الكنيسة السريانيّة الشرقيّة في ذٰلك الزمان.

المغول

منذ سنة ١٢٢١ أخذت التواريخُ السريانيّة تأتي على ذكر نهوض «الهُون، المسمَّين بالتركيّة تَتار» بعد أن تغلَّبوا على جلال الدين خوارزم شاه. وتتالت الأخبار المقلقة، إلى أن علم السريان، سنة ١٢٣٢، أنّ هؤلاء البرابرة «شرعوا يبيدون الأتراك أكثر منهم النصارى، والمسلمين أكثر منهم اليهود». وهٰذا ما دفع السريان إلى تحديد موقفهم من المغول.

ولا بدّ هنا من التذكّر أنّ العلاقات بين الشعوب في تلك الأيّام لم تكن لِتُفهَم إلاّ بين المتسلِّط والمتسلَّط عليه. ولّما كان المسيحيّون بالنسبة إلى الإسلام أهلَ ذِمّة، أي من المتسلَّط

عليهم، فإنّهم كانوا يحلمون بأن يُصبحوا، هم أيضًا، متسلِّطين. وهٰذا الحلم لم يكن بمقدورهم تحقيقُه إلاّ بوساطة عوامل خارجيّة. وإن لم يفكّر النساطرةُ، لبلوغ أربهم، في الاستنجاد بالبيزنطيّين الذين كادوا لا يعتبرونهم من المسيحيّين، إلاّ أنّهم أملوا بعضَ الوقت أن يأتي الصليبيّون إليهم - بعد أن وصلوا حتّى الرها - ويساعدوهم على التحرّر من رِبقة المسلمين. ولكنّ انهزام الصليبيّين في النهاية وفقدانهم أورشليم، وقعا عليهم وقوع الصاعقة وذهبا بتطلّعاتهم أدراج الرياح.

وإذا بإمبراطوريّةٍ جديدة تقوم الآن في وجه الخلافة، وإذا بقسمٍ من المهاجمين ينتمون إلى النسطوريّة بمَن فيهم الملكة دوقوز خاتون، أولى زوجات هولاكوخان وصاحبة السلطان والنفوذ لديه. فلم تطلّ سنة ١٢٤٤ حتّى بدأ الأرمن وانضمّوا بشكلٍ رسميٍّ إلى المغول، ومثلَهم فعَل بعض الأمراء المسلمين ممّن تعذّر عليهم المقاومة كبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، بعد أن أخفق في الحصول على مساعدة الخليفة. ولّما كان السريان قد رأوا في الخان وزوجته قسطنطينَ جديدًا وهيلانة جديدة، وقد سمعوا منذ عام ١٢١٨ أنّ دستور جنكزخان تبنّى مبدأ المساواة بين الأديان، فإنّهم انحازوا إلى

فريق المغول بما لا يدعو إلى التردّد. وأدرك المسلمون الواقع فضمُّوا الجاثليق إلى وفدٍ أرسلوه إلى هولاكو؛ إلاّ أنّ السيف سبق العَذَل، فلم يُستقبَل الوفد وانتهى حصار بغداد سنة ١٢٥٨ بسقوط المدينة واغتيال المعتصم آخر خلفاء العبّاسيّين.

ونزل هولاكو عند نصيحة دوقوز خاتون، فتحاشى إيذاء المسيحيّين والمسلمين المحتمين بهم، لا بل خصّ الجاثليق مكّيخا الثاني (١٢٥٧ - ١٢٦٥) بدار الدويدار حيث جُهِّزت كنيسة وإلى جانبها رباطان. وحذا المغول حذو العبّاسيّين فاستعانوا بالمسيحيّين للخدمة في الدواوين، وفعلوا ما لم يفعله أسلافهم، فولّوهم على المدن ووكلوا إليهم السفارات لدى ملوك الغرب والبابا. وكان المعسكر الملكيّ يشمل خيمةً تُستعمَل كنيسة، ملاصقةً لخيمة الملك، قدّم عاهل فرنسا، القدّيس لويس التاسع، لتزيينها، ستائر موشّاة تمثّل مشاهد من حياة المسيح.

الجاثليق التركيّ المغوليّ العظيم يَهْبالاها الثالث

في عهد الجاثليق دنحا الأوّل (١٢٦٥ - ١٢٨١)، أراد راهبان من جوار بيكين، هما برصَوما وتلميذه مرقس، القيام بحجّ إلى القدس مرورًا بمراكز كنيستهما السريانيّة الشرقيّة.

فسلّمهما الخان الأعظم قُبلاي ثيابًا لتغطيسها في نهر الأردنّ وتمسيحها بقبر المسيح، وانطلقا وتمكّنا من إنجاز القسم الأوّل من مشروعهما بالوصول إلى كرسيّ مار ماري، إلاّ أنّهما عجزا عن متابعة السير بسبب الاضطرابات في تلك الآونة.

وفي عام ١٢٨٠، سيم مرقس، وهو في الخامسة والثلاثين، مطرانًا على سين (أي الصين الشماليّة) وعلى المغول الأُونْغُوت، وجُعل كرسيّه في خان بالِيق (بكين) واتّخذ اسم يهبالاها، في حين عُيّن معلّمه برصوما بَرْدِيُوطًا، أي زائرًا عامًّا. إلاّ أنّ المطران الجديد لم يستطع الوصول إلى إبَرشِيَّته، وفي عام ١٢٨١، رأى المطارنة المجتمعون لانتخاب خلفٍ للبطريرك دَنْحا الأوّل، أنّ خير مَن يقوم بالمهمّة هو يهبالاها، لمعرفته بعوائد المغول ولسانهم؛ واعترف به الخان أباقا خليفة هولاكو.

بيد أنّ سنوات البطريرك الأُولى كانت صعبة، فقد تبوّأ الحكمَ خان آخر شابٌ يُدعى تَكُودار (١٢٨٢ ـ ١٢٨٤)، اعتنق الإسلام وتسمّى أحمد، ولم يُراعِ المسيحيّين، مخالفًا بذلك ما فعله المغول قبلَه. ثمّ اغتيل أحمد، فعاد خلفاؤه، رغم كونهم على مذهب الشامانيّة أو البوذيّة، يطبّقون مبادئ دستور جنكزخان الليبراليّة، حتّى إنّ الخان أُرغُون (١٢٨٤ ـ ١٢٩١) أوفَد برصوما الربّان سفيرًا له إلى روما وملكَي فرنسا

وإنكلترا، ودوّن الراهب أخبار رحلته وقد انتهت إلينا نُسَخٌ منها.

وتمتَّع يهبالاها بالروح المسكونيّة، فقال عنه ابن العبريّ الشهير: «إنّه أبدى لنا ولشعبنا (يعني السريان الغربيّين) محبّةً عظيمةً». ولّما توفّي ابن العبريّ، رأس الجاثليق نفسه جنازته في المراغة، سنة ١٢٨٦. كما أنّه أبدى كثيرًا من العطف للمرسلين الكاثوليك الدُومِنيكيّين والفَرَنْسيسيّين؛ ونذكر على سبيل المثال أنّه سَمح للراهب الدومنيكيّ رِيكُولْدُو دا مُونْتِه كرُوتشِه أن يعِظ في كنائسه على الرغم من معارضة بعض الأساقفة. وفي سنة ١٣٠٢ اعترف بشكلٍ لبق أنّ البابا «هو بالحقيقة مَن يُوثق به في موضوع الأسرار اللاهوتيّة». وكتب إلى بونيفاتيوس الثامن عام ١٣٠٢، وإلى بندكتس الحادي عشر عام ١٣٠٤، موقّعًا في المناسبة عينها إقراره بالإيمان الكاثوليكيّ. وكان برصوما قد دخل من جهته على الكرادلة وتناول القربان المقدّس من يد البابا.

وفي تلك الأثناء شقّ الإسلام طريقه إلى المغول بادئًا من الشعب سنة ١٢٩٥، ثمّ منتقلاً إلى الأمراء، ومنتهيًا بالخان غازان الذي اتّخذ له اسم محمود. ولم ينقضِ حولٌ حتّى شرع أحد الأمراء المدعوّ نَوْرُوز، باضطهاد البطريرك، فنهب مقرَّه وسجَنَه وعذّبه، ولم ينجُ يهبالاها إلاّ بعد تسلُّله من إحدى

النوافذ وتركه المراغة متسترًا بزيّ أحد خدّام الملك الأرمنيّ هَيْثَم الموجود آنذاك في المدينة. ولّما انقلب الدهر على نَوروز، تمكّن الجاثليق من استعادة نشاطه إلى حين؛ فمن سوء طالعه أنّه، سنة ١٣١٠، إذ كان في أربيل، راح المرتزقة المسيحيّون في صفوف المغول، وهم القيّاتشايه، يستهترون بالناس بصلف وتعجرف، ممّا أثار العرب والأكراد على المغول، فقُتل جميع المسيحيّين في أربيل ولم ينجُ إلاّ نفرٌ قليلٌ كان البطريرك منهم. فانعزل في ديرٍ سَبَق أن بناه على اسم القدّيس يوحنّا المعمدان في المراغة، عاصمة المغول بأذربيجان، حيث توفّي سنة ١٣١٧.

السنون المظلمة وانبعاث النور

وصل إلى الحكم سنة ١٣١٦ خانٌ في الثانية عشرة من عمره اسمه أبو سعيد، فبدأت الاضطرابات وعمّت البلاد ممّا أودى بعددٍ كبير من جماعات الكنيسة السريانيّة الشرقيّة، على الرغم من وجود البطريرك الشجاع طيمثاوس الثاني (١٣١٨ - ١٣٣٢) على كرسيّ مار ماري. فإذ كان بعد مطرانًا على أربيل، أنقذ يهبالاها من الموت، وفي أيّامه انعقد آخر مجمعٍ سُجّلت أعماله وبقيت.

ولا أثر في التواريخ عن تلك الحقبة، وقلَّ مَن تعاطى الكتابة في ذلك الزمن. ومع ما تبع موتَ أبي سعيد من فوضى، سنةَ ١٣٣٥، اضطُرَّ البطريرك دَنحا الثاني (١٣٣٢ - ١٣٦٤) إلى نقل كرسيّه إلى كَرَمْلَيس، وهي قريةٌ سريانيّة شرقيّة كبيرة في جوار الموصل، بقي فيها آنذاك بعض الأمراء المسيحيّين. وتفشّى الطاعون في منتصف القرن الرابع عشر فضرب سائر أقطار الشرق وقسمًا من أوروبّا، وتبعته جحافل تيمورلنك وما عاثته من تخريب، ممّا قضى على وجود الكنيسة السريانيّة الشرقيّة في كثير من البلدان، ولم يبقَ لها مِن أثر يُذكَر إلاّ في أُورمِيَه بأذربيجان وفي وان وهكّاري بتركيا وفي شمال العراق لا سيّما حول الموصل.

أمّا البطاركة، فمن المحتمل أنّهم مرّوا بالموصل بعد كرمليس؛ ثمّ لجأوا إلى دير الربّان هرمزد قربَ ألقوش إلى شمال الموصل على تخوم جبال الأكراد. وأوّل من عُرِفَ قبره هناك هو شمعون الرابع باصيدي (١٤٣٧ - ١٤٩٧؟)؛ أمّا شمعون الخامس (١٤٩٧ - ١٥٠١؟) وإيليّا الخامس (١٥٠٢ - ١٥٠٣؟) فقد عاشا في ديرَي مار آحا ومار يوحنّا على مقربةٍ من جزيرة ابن عُمَر. ولعلّ مَن خَلَفهما عاد إلى ألقوش.

وفي تلك الأثناء أثمرت جهودُ المرسلين اللاتين المنطلقين من قبرص، وقد بدأوا سعيَهم منذ سنة ١٢٢٢. فإنّهم

استطاعوا إقناع قسمٍ من السريان الشرقيّين اللاجئين إلى الجزيرة، بالعودة إلى وحدة الكنيسة، وتثبّتت حركة الرجوع هذه سنة ١٤٤٥ لمّا أقرّ الأسقف طيمثاوس بالإيمان الكاثوليكيّ بين يدَي أندراوس، رئيس أساقفة رُودُس الدومنيكيّ، فاعترف البابا أوجينس الرابع بالفريق الجديد، مطلقًا عليهم اسم «الكلدان» تذكيرًا بكَلْدُو القديمة حيث أُسِّسَ كرسيّ مار ماري.

سُولاقا، أوّل بطاركة «الكلدان»، وخلفاؤه

في سنة ١٥٣٤ احتلّ الأتراك العثمانيّون مدينة بغداد، فدخلت الكنيسة السريانيّة الشرقيّة مرحلةً جديدةً من حياتها. وفي سنة ١٥٥١ قامت ردّة فعلٍ على عادةٍ ذميمة شقّت طريقها عام ١٤٨٠ عند «النساطرة»، وهي تسليم البطريركيّة بالوراثة من العمّ إلى ابن أخيه؛ فرفض ثلاثة أساقفةٍ وبعض المؤمنين البطريرك الوارث المعيَّن، واجتمعوا في الموصل واختاروا مكانه رئيس دير الربّان هرمزد، سُولاقا، وهو يميل إلى الاتّحاد مع روما. فذهب البطريرك الجديد، يرافقه وفدٌ من الموالين، إلى القدس ثمّ إلى روما حيث انتهوا في ١٥ تشرين الثاني ١٥٥٢. وفي ٢٠ شباط من السنة التالية، أعلن

سولاقا إيمانه الكاثوليكيّ فسلَّمه البابا درع البطريركيّة في ٢٨ نيسان. وعاد أوّل «البطاركة الكلدان» إلى الشرق برفقة اثنين من الرهبان الدومنيكيّين المالطيّين، أمبروسيوس بُودجاج، وأنطونيوس زَهره الذي أصبح في ما بعد مطرانًا. واتّخذ البطريرك اسم شمعون وجعل مقرَّه في آمد (ديار بكر) حيث وصل في ١٢ تشرين الثاني ١٥٥٣.

وما كاد البطريرك الجديد يرسم خمسة مطارين حتى وشى به خصمه شمعون الثامن دنحا (١٥٥١ ـ ١٥٥٨)، بطريرك ألقوش، فسجنه باشا العماديّة وقُتل غرقًا في مطلع سنة ١٥٥٥.

وخَلف سولاقا عبد يشوع الرابع مارون (١٥٥٥ ـ ١٥٧٠) وخمسة آخرون ظلّوا على الكثلكة، إلى أن جاء شمعون الثالث عشر دنحا (١٦٦٢ ـ ١٧٠٠)، فارتدّ إلى النسطوريّة عام ١٦٧٢. وكان بطاركة هٰذه السلسلة، بعد فترةٍ من التنقّل بين مركزٍ ومركز، قد ثبّتوا مقامهم في قُدشانِيش قربَ جُولاميرك، في وسط جبال حَكّاري، بكردستان إلى الشرق الجنوبيّ من تركيا.

بطاركة ديار بكر الكلدان

وظهرت سلسلة ثانية من البطاركة الكلدان الكاثوليك في ديار بكر، بدءًا من ١٦٨١، وتسمَّوا جميعًا باسم يوسف. وكان أشهرهُم يوسف الثاني (١٦٩٥ - ١٧١٢) وأصله من قريةٍ مسيحيّة كبيرة تُدعى تلّ كَيْف بالقرب من الموصل. وُلِد لأبٍ حائك، ورُسم شمّاسًا في الرابعة عشرة من عمره، وكاهنًا في الثانية والعشرين، ومطرانًا في الرابعة والعشرين، وبطريركًا وهو ابن ثمانيةٍ وعشرين عامًا؛ وتوفّي بالطاعون في السابعة والأربعين.

ويبدو أنّ يوسف الثاني كان مفطورًا على حبّ الدقّة حبًّا مفرطًا، فخطّه العربيّ صغير الأحرف، رهيف الرسم متلاصق الكلمات، دقيقٌ منتظم كأنّه نصٌّ مطبوع، وقد تعلّمه على يد اختصاصيّين مسلمين. ولم يكن ليرضى عن أيّ عملٍ بسهولة، وقلّما راقه علم الآخرين، ويرتاح أكثر ما يرتاح إلى العثور على البدع الموجودة في كتب النساطرة الطقسيّة وفي قصائد ورده وخاميس وسواهما. ولئن أخذ عليه نفرٌ من المتزمّتين بعضَ ما أدخله على الطقوس الكلدانيّة بتأثيرٍ من اللاتين، ولئن عاب العلاّمةُ المارونيّ يوسف سمعان السمعانيّ كتابَه «المرآة الجليّة» لِما اعتوره من خللٍ في المنطق على الرغم

ممّا كان له من تأثير لارتداد الكثير من النساطرة، فإنّ يوسف الثاني كان نشيطًا عاملاً، «معلّمًا حقًّا وفيلسوفًا روحانيًّا»؛ وعلى الرغم من أنّ المنيّة عاجلته وهو بعد في مقتبل العمر، فقد خلّف من الآثار ما استحقّ له مكانةً مرموقة بين الأدباء السريان، وأوسع مؤلّفاته شهرةً، «كتاب المغناطيس»، عن الحياة الروحيّة، موجودٌ في جميع خزائن المخطوطات الكلدانيّة وبنسخٍ متعدّدة.

وآخر بطاركة سلسلة ديار بكر، أوغسطين هندي (١٨٠٤ - ١٨٢٨) يُدعى في بعض الأحيان يوسف الخامس، رغم أنّ روما لم تعترف به.

بطاركة بابل الكلدان - السلسلة الثانية - وأزمة الملبار

تبدأ هٰذه السلسلة بيوحنّا الثامن هرمزد الموصليّ (١٨٣٠ - ١٨٣٨)، وأشهر أعلامها يوسف السادس أُودو (١٨٤٨ - ١٨٧٨). وُلِد في ألقُوش وترهّب في دير الربّان هرمزد وانصرف بغيرة ونشاط إلى هدْي النساطرة، ممّا تسبّب له بدخول السجن غيرَ مرّة. رُسم مطرانًا على الموصل سنة ١٨٢٠ وهو في الرابعة والثلاثين، ثمّ نُقِلَ، عامَ ١٨٣٣، إلى

العمادية. وحوالى سنة ١٨٤٣، تعرّف إليه الأب ڤاليركا، وكان آنذاك ملتحقًا بإرساليّة الدومنيكيّين في الموصل ثمّ صار في ما بعد بطريركًا لاتينيًا على القدس، فكتب إلى روما يوصي به ليكون بطريركًا على الكلدان في وقتٍ لاحق. وعليه عُيِّن نائبًا بطريركيًّا لدى استقالة البطريرك نيقولاوس زَيْعا، ثمّ انتُخب بطريركًا بإجماع الأصوات سنة ١٨٤٧.

ولّما انعقد دير الربّان هرمزد عام ١٨٥٣، لم يترأسه البطريرك بل القاصد الرسوليّ، الراهب اليسوعيّ بُنْوا پلانْشِيه (Planchet)، فاتُّخذت خلاله قراراتٌ مسلكيّة وطقسيّة مستوحاة من الكنيسة اللاتينيّة، لا سيّما في تنظيم الفرض الإلهيّ وتبنّي نصوصٍ لمنح الأسرار منقولةٍ عن اللاتينيّ.

وممّا ساهم أيضًا في تأزيم العلاقات مع روما، مسألة الملبار، وهي منطقة في أقصى جنوب الهند طَلَبَ مسيحيُّوها إلى البطريرك أن يدخلوا تحت سلطته لا تحت سلطة نائبٍ رسوليّ لاتينيّ. فإنّ المطران پلانشيه نصح روما بالتريُّث، ولكنّه توفّي سنة ١٨٥٩، فحلّ محلّه الدومنيكيّ الفرنسيّ هنري أمانْتُون وكان من مناوئي البطريرك. ولّما كان المجال يضيق بنا لخوض تفاصيل تلك المسألة المحزنة، نكتفي بالقول إنّ البطريرك كان يجهل أو لم يفهم توجيهات الدوائر الرومانيّة على حقيقتها، فلم

يتقيّد بتعليمات القاصد الرسوليّ، الذي يبدو أنّه تجاوز صلاحيّاته. ومن ثمَّ رسم أودو مطرانًا ليذهب ويدرس عن كثبٍ مسألة الملبار، فاستدعى البابا بيوس التاسع البطريركَ إلى روما في ٢٣ أيلول ١٨٦٠، وفي حين وصلها يومَ ١٣ تمّوز من السنة التالية، لم يستقبله الحبر الأعظم إلاّ في ١٤ أيلول وعامله بشيءٍ من القساوة، وقد عُرف عنه طبعه المتهوِّر. ومع ذلك جدَّد البطريرك تعلُّقه بروما، واستُدعي المطران أمانتون سنة ١٨٦٣، وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعيّ، إلى أن أعاد البطريرك الكرَّة، فرسم بتاريخ ٥ حزيران ١٨٦٤ مطرانًا جديدًا على الملبار، هو إيليّا ملّوس.

ولّما انعقد المجمع الڤاتيكانيّ الأوّل، جاءه أودو مصمِّمًا على الدفاع عن سابق امتيازات كرسيّه، فلم يعترف، ممّا أقرّته روما، إلاّ بالعقائد الإيمانيّة ورفض قوانينها المسلكيّة، كما أنّه امتنع عن تكريس مطرانين عيّنهما البابا، على الرغم من ورود اسميهما ضمن لائحةٍ قدَّمها البطريركُ نفسه. فاستدعاه الحبر الأعظم ووبَّخه غاضبًا، وما كان من البطريرك التقيّ إلاّ أن وقَّع تعهُّدًا برسم المطرانين وامتثل فعلاً في ٣٠ كانون الثاني ١٨٧٠. وبالنسبة إلى المجمع، كان أغلبيّة الأساقفة الكلدان قد تأثّروا بموقف التيّار الكاليكانيّ، فعارضوا إعلان العصمة البابويّة، ولٰكنّهم أيّدوها بعد صدور القرار بها. وتوفِّي

البطريرك أودو في ١٤ آذار ١٨٧٨ بعد أن دافع بغيرة وهمّة عن حقوق كنيسته في وجه أنصار المركزيّة الرومانيّة الزاحفة.

البطريركيّة الكلدانيّة حتّى أيّامنا

خلف البطريركَ أودو إيليّا الرابع عشر عبُّو اليونان (١٨٧٩ ـ ١٨٩٤)، ثمّ عبد يشوع الخامس خيّاط (١٨٩٥ ـ ١٨٩٩)، فيوسف عمّانوئيل الثاني توما (١٩٠٠ ـ ١٩٤٧) الذي رعى بعينٍ ساهرة إرساليّات الكلدان لدى النساطرة، فعادت في أيّامه إلى سابق ازدهارها.

أمّا يوسف السابع غنيمه (١٩٤٧ ـ ١٩٥٨)، فإنّه نقل كرسيّ البطريركيّة من الموصل إلى بغداد بعد أن أصبحت مدينة السلام عاصمة العراق المستقلّ. ثمّ جاء بولس الثاني شيخو (١٩٥٨ ـ ١٩٨٩)، وخَلَفه البطريرك الحاليّ، روفائيل الأوّل بيداويد، المنتخَب عامَ ١٩٨٩.

تضمّ الكنيسة الكلدانيّة اليومَ ١٨ إبرشيّة. فبالإضافة إلى الإبرشيّة البطريركيّة، وكرسيُّها في بغداد، ثمّة ٩ إبرشيّات في العراق: البصرة، الموصل، أربيل، كركوك، زاخو، العِمادِيّة، السليمانيّة، العقرة، ألقُوش. وهنالك ثلاثٌ في إيران:

طهران، أورمِيا، الأهواز. والإبرشيّات الأخرى هي: ديار بكر (وبالفعل إسطنبول)، حلب والجزيرة، مصر (القاهرة)، لبنان (بيروت)، والولايات المتّحدة الأميركيّة (دِيترُويت)؛ فضلاً عن ستّ نيابات بطريركيّة: القدس، أوستراليا، السويد، فرنسا، روما، وكندا.

وثمّة معهدٌ إكليريكيّ في بغداد، ورهبانيّة الربّان هرمزد الأنطونيّة للرجال، وقد صادق عليها الكرسيّ الرومانيّ عام ١٨٤٥، ورئيسها العامّ يقيم في دير السيّدة حافظة الزروع بالقرب من ألقوش. كما أنّ هنالك رهبانيّتين للنساء، إحداهما جمعيّة «بنات مريم المحبول بها بلا دنس»، وهي جمعيّة بطريركيّة تعمل في حقل التعليم، أُسِّست سنة ١٩٣٣ ومركزها في بغداد؛ والثانية، جمعيّة «القلْب الأقدس» الأسقفيّة، أُسِّست عام ١٩١٥ في العماديّة لخدمة الأرياف، ومركزها في الموصل.

ونتمنّى للكنيسة الكلدانيّة أن تتابع بهمّة بطريركها الجديد تقدُّمها وازدهارها.

الفرع الذي لم ينتمِ إلى الكثلكة

تركنا هٰذا الفرع بعد ذِكرنا لِتَمركُز بطاركته في قُدشانِيش،

إلى الشرق الجنوبيّ من تركيا، أواخر القرن السابع عشر. وإنّ قومهم ينقسمون إلى خمس عشائر كبرى هي: جِلُو، وباز، ودِيز، وتخُوما، وتِيارِي؛ وإلى رعايا هي: طال، ووَلْتُو، وعَشِيثا، وإشتازِن.

كيف ندعو هؤلاء السريان؟ إنّهم يُطلقون على ذواتهم اسم «أهل الجبل»، أو «سُورايِه» وهو يعادل كلمة «مسيحيّين». ومنذ القرن السادس عشر أُطلق عليهم، في بعض الوثائق الرومانيّة، تسميات أخرى، منها «الأثوريّون» (أو الأشوريّون؟)؛ كما أنّهم عُرفوا فيها «بالكلدان»، لا سيّما للدلالة على بطريرك التخوم التركيّة الفارسيّة، في حين أشاروا إلى بطريرك الموصل بكلمة «بطريرك بابل».

ومهما يكن من أمر، فقد تسمّت الإرساليّة التي أسّسها بِنْسُن (Benson) رئيس أساقفة كانْتِرْبري سنة ١٨٨٦ في تلك المناطق، بـ The Archbischop's Assyrian Mission، أي «إرساليّة رئيس الأساقفة في أشُور»؛ وأسباب تلك التسمية جغرافيّة، إذ لم يكن بعدُ من طَرْحٍ لمسألة «القومية». ثمّ صاروا يتكلّمون على «المسيحيّين الأشوريّين» آخذين بعين الاعتبار المدلول الجغرافيّ، إلى أن انتقلوا، في تاريخٍ غير محدَّد، إلى عبارة «الأشوريّين المسيحيّين». وبعد أن كان هؤلاء

يُعـرَفون، في لغتهم، **بـالأثوريّـين**، وتعني الكلمة، بحسب **معجم** الحسن ابن بهلول (القرن العاشر)، «أهل الموصل»، صاروا يتسمَّون **بالأشوريّين**. ثمّ صدر، سنة ١٩١٠، كتاب القسّ وِكرام المعنوَن **Ancient and modern Assyrians**، فجاء فيه ما تعـريبه: «الأشـوريّ، الكلدـيّ الحاليّ، والنسـطوريّ الحاليّ، يمثّلان الأرومة الأشوريّة القديمة، وهما من سلالة رعايا سرجون وسنحريب، كما يظهر ذلك من النماذج البارزة الباقية حتّى الآن». وأحـد فرعَي الكنيسـة السريانيّـة الشرقيّة غـير المتّحدة مع روما يُدعى اليوم «الكنيسة الأشوريّة الشرقيّة».

الاضطرابات والتشتُّت

طالما عانى المسيحيّون في تلك المناطق من جوار الأكراد. ففي سنتَي ١٨٤٥ و١٨٤٦ قام أمير بهتان الكرديّ، بدر خان بك، بمذابح فتّاكة، ممّا جعل البطريرك شمعون السابع عشر أبـراهام (١٨٢٠ ـ ١٨٦١) يلجـأ إلى بلاد فـارس في سهل أورميه.

بيد أنّ الفاجعة حصلت خلال الحرب الكونيّة الأولى. فإنّ الروس بدأوا منذ سنة ١٩٠٦، أي قبل تمركزهم في آذربيجان

عام ١٩١١، يتّصلون «بالأشوريّين». ولّما اندلعت الحرب سنة ١٩١٤، بين روسيا وتركيا، لم يُخفِ الأشوريّون ميلهم إلى الروس، وكان هؤلاء قد وصلوا حتّى وان سنة ١٩١٥. فأعلن البطريرك شمعون التاسع عشر بنيامين الثورة، إلاّ أنّ الأكراد وفرقة من الجيش التركي هاجموا سكّان الجبل فاضطرّوهم إلى التقهقر نحو أورميَه في إيران؛ ومن ثمّة شرع عددٌ من الأشوريّين ينتقلون من أورميه إلى روسيا، وقد ساهم في حثّهم على الرحيل اغتيالُ البطريرك شمعون بنيامين في جوار أورميه على يد الزعيم الكرديّ سِيمكُو آغا وبِدَسٍّ من الحكومة الإيرانيّة. وتابع الأشوريّون هجرتهم نحو همدان، ثمّ نحو جنوب العراق، والبريطانيّون يعدون اللاجئين بمساعدتهم على استرجاع بلادهم، إلاّ أنّهم لم يبرّوا بوعدهم قطّ. وتوفّي البطريرك شمعون العشرون بولس بداء السلّ، عامَ ١٩٢٠، في مخيّم بعقوبا بالعراق.

وخلف البطريرك الراحل، بحسب ناموس الوراثة، ابنُ أخيه شمعون الحادي والعشرون إيشاي، وهو فتًى في الثانية عشرة، فصارت عمّتُه سُورما خانم، أختُ البطريركين بنيامين وبولس، مستشارة له.

وحدث سنة ١٩٣٣ ما دُعي «ثورة» الأشوريّين في العراق.

ذلك بأنّ فرقًا مسلّحةً منهم حاولت الدخول إلى سوريا - وكانت آنذاك تحت الانتداب الفرنسيّ -، فتركوا قراهم بالعراق دون حماية، ممّا تسبّب بمذابح جرت في شمال البلاد ذهب ضحيّتها نساءٌ وأطفال وشيوخ. وفي إثر تلك الأحداث طُرد البطريرك شمعون إيشاي من العراق ونُفي إلى قبرص، ثمَّ إلى لندن، واستقرّ في سان فرنسيسكو بدءًا من ١٩٤٢.

إنشقاقٌ جديد

وطلعت سنة ١٩٦٤ على الكنيسة الأشوريّة بأزمةٍ جديدة، جاءتها هٰذه المرّة من الداخل. فإنّ البطريرك شمعون إيشاي أراد أن تلحق كنيسته بركب الكنائس الأخرى في العالم، وقرّر اتّباعَ التقويم الغريغوريّ بدلاً من التقويم اليوليانيّ، وتقليصَ عددٍ من الصلوات الطقسيّة وإجراء بعض التخفيف في الأصوام التقليديّة القاسية ممّا لا يتماشى والحياة العصريّة. فإذا بفريقٍ من الأمّة، غالبيّة أعضائه من صفوف التِياريس المقتدرين، يثور لأسبابٍ لم تكن جميعُها على صلةٍ بالدين، ويأتون من الهند بالمطران توما دارمُو المناهض لقرارات البطريرك. فرَسَم توما، منفردًا، ثلاثة أساقفةٍ والتأم أربعتهم في «مجمعٍ عام» ببغداد سنة ١٩٦٨، ما لبث أن أعلن

انتخابَ دارمو بطريركًا وعزل شمعون إيشاي. وعلى الرغم من أنّ شمعون استعاد جنسيّته العراقيّة وزار سنة ١٩٧١ عاصمة العراق حيث استُقبِل بالحفاوة والتكريم، إلاّ أنّه أراد الاستقالة سنة ١٩٧٣ وقد شعر بالملل والتعب. لكنّ المطارنة أنصارَه لم يقبلوا استقالته، وزاد في الطين بلّةً أنّه صمّم، سنة ١٩٧٤، على الزواج، فكانت النتيجة أنّه اغتيل يومَ ٦ تشرين الثاني ١٩٧٥ في مقرّه بأميركا. وأدّى هٰذا العمل إلى القضاء على الخلافة بالوراثة، فانتُخب مار دنخا، مطران طهران، بطريركًا باسم شمعون الرابع والعشرين، وذٰلك سنة ١٩٧٦.

السلطتان الكنسيّتان

ثمّة اليوم كنيستان سريانيّتان شرقيّتان غير متّحدتين بروما. الأولى، وتدعى الكنيسة الشرقيّة الأشوريّة، يرئسها البطريرك دنخا الرابع، وكرسيّه في طهران. لها مطارنةٌ في بيروت وبغداد وتريشُور (للهند)، وأساقفةٌ في بغداد وكركوك وشِيكاغو (للولايات المتّحدة الأميركيّة وكندا)، والحسكة (لسورية والخابور والجزيرة). أمّا إبرشيّات البصرة ودَهوك، وشمال العراق (دِيانا سابقًا وبرواري سابقًا)، وأوروبّا الشماليّة (لندن)، وأستراليا (سيدني)، فهي شاغرة.

وبالنسبة إلى «الكنيسة الرسوليّة الجاثليقيّة القديمة»، فبطريركها مار أدّي كِوَرْكِيس، وقد انتُخب عام ١٩٧١ ومقرّه في بغداد. ولهٰذه الكنيسة مطرانان في الموصل وترِيشور (الهند) وأساقفة في كركوك والهند.

كنيسة السريان الملبار

هٰذه الكنيسة موجودةٌ في جنوب الهند وترقى إلى الرسول القدّيس توما. إلاّ أنّ التقليد المحلّيّ يقول بأنّه حوالى سنة ٣٤٥ افتقر «مسيحيّو مار توما» إلى رجال دين، فاتّصلوا بجاثليق المشرق فأرسل إليهم توما قِنايِه التاجر يرافقه ٧٢ أسرة، وأربعة كهنة، وشمامسة، ومطران هو يوسف الرهاوي. إلاّ أنّ في التاريخ المذكور نظرًا، إذ كان آنذاك اضطهادُ شابور الثاني قائمًا على قدم وساق.

وهنالك تقليد آخر يقول بأنّه تمّ، حوالى التاريخ عينه، انتقال شخصٍ يُعرَف بثاوفيل الهنديّ، من الجزيرة العربيّة إلى الهند. إلاّ أنّه تجدر الملاحظة هنا أنّ كلمة «الهند» قد تعني، في تلك الحقبة، مناطق قريبة من بلاد العرب. وكذٰلك الأمر بالنسبة إلى «الهند» التي بشّرها، بين ٣١٠ و٣٤١، المطران داود الفراتْمَيْشانيّ (=داود البصريّ). وبالنسبة إلى

العلاقات بين كنيسة مار ماري والهند، فإنّه لم يؤتَ على ذكرها قبل القرن السادس، إذ روى الرحّالة قُزما إنْدِيكُوبلُوسْتِيس أنّه كان آنذاك في الملابار «أسقفٌ رُسِمَ في بلاد فارس»؛ وكان كرسيُّه تابعًا لمطرانيّة تلك البلاد وظلّ لاحقًا بها حتى القرن الثامن، حيث أصبح بدوره كرسيًّا لمطرانيّةٍ مستقلّة. وظلّت العلاقات بين ذٰلك الكرسيّ ومركز الجاثليق مستمرّة على شيءٍ من الانتظام حتّى القرن السادس عشر. ولم يتمّ الانفصال إلاّ على يد البرتغاليّين بعد أن حلّوا في الملابار سنة ١٤٩٨ واتّصلوا بالسريان الشرقيّين، فظلّ بعضهم نسطوريًّا وصار بعضهم الآخر كلدانيًّا كاثوليكيًّا. وفي عام ١٥٩٥، شكّ البابا أكليمنضوس الثامن بصحّة عقيدة المطران إبراهيم، فرأى أنّه لا يمكن تفويض رعاية مسيحيّي القدّيس توما إلاّ لمطران يعيّنه البابا، وأعطى في هٰذا الصدد كامل الصلاحيّات لرئيس أساقفة غُوا اللاتينيّ. وبعد سنواتٍ معدودة، عام ١٥٩٩، التأم سينودُس دِيامْپِر برئاسة المطران المذكور وثبّت اللّيتنة على سائر الأصعدة إنْ في السلوك والقوانين أو في الطقوس.

وقد سبق ورأينا كيف أنّ البطريرك يوسف أودو (١٨٤٨ - ١٨٧٨) حاول إعادة الصلة بين الهند والبطريركيّة. وقامت في إثر ذٰلك أزمةٌ نتج عنها فئةٌ جديدةٌ ارتبطت بالأسقف ملّوس -

الذي عيّنه أودو- ثمَّ أعلنت هٰذه الفئة خضوعها للبطريرك النسطوريّ سنة ١٩٠٧، وما لبثت أن انقسمت هي أيضًا على نفسها.

وفي سنة ١٨٩٥ جَرت محاولةٌ لربط كنيسة الملابار بالبطريركيّة الكلدانيَّة، بيد أنّ روما أوقفتها وقرَّرت إلحاق مسيحيِّي القدِّيس توما بها مباشرةً.

السلطة الكنسيَّة الكاثوليكيَّة المحلِّيَّة

لا عجب إنْ غاب الإكليروس المحلِّيّ عن مراكز السلطة العليا في الإبرشيّات الهنديَّة الخاضعة للآتين. فالأمر كان على النحو ذاته في الإبرشيّات التي رأسها الكلدان، أو في الإبرشيّات الملكيّة التي رأسها اليونانيّون. فتلك كانت أساليب ذلك العصر وعقليَّتَه. ولم يُرسَم أوَّل أسقفٍ محلّيّ إلاّ سنة ١٦٦٣، لّما استولى الهولنديُّون على كوشان فطردوا، في بضعة أيّام، الزائر الرسوليّ اللاتينيّ. إلاّ أنَّ المطران المخلوع تمكَّن من رسامة مطرانٍ يحلّ محلَّه هو پرامبِيل كامْبي واستمرَّت السلسلة بعده غيرَ منقطعة، وقد رأينا سابقًا أنّ الملابار طلبوا أساقفةً إلى الكلدان.

وفي سنة ١٨٨٦ عُقدت بين الكرسيّ الرومانيّ والبرتغال

اتّفاقيّة تقضي بقيام أساقفةٍ كاثوليك هنود ممّا يخرج السريان عن سلطان رئيس أساقفة غُوا. وكان السريان الملابار آنذاك، على أقلّ تقدير، نحو (٢٠٠,٠٠٠) مائتي ألف، لهم (٣٠٠) ثلثمائة كاهن و٥٩ راهبًا وراهبة وأربع مدارس إكليريكيّة، ولا أسقف واحد. ولم يتمّ لهم سيامة مطران إلاّ بعد مضيّ عشر سنوات حيث عيّن ثلاثة أحبار لكلٍّ من ترِيشُور وڤيرا پولي (التي أصبحت في ما بعد إرناكولام) وشانغا ناشِرّي. وفي عام ١٩٢٣ أُنشئت مقاطعة السريان الملابار ولها رئيس أساقفة في إرناكولام وثلاثة أساقفةٍ تابعون له في تريشور وكُوتّايام وشانغا ناشرّي. . ولدى السريان الملابار اليومَ جمعيةٌ من الثالثيّين الكرمليّين أُسِّست رسميًا سنة ١٨٨٥ وانفصل عنها في ما بعد بالجنوب، أي في كوتايّام، جمعيّة «خدّام القلب الأقدس». ونشأت منذ ١٨٦٥ سبع جمعيّات رهبانيّة نسائيّة. وكنيسة السريان الملابار الكاثوليكيّة التي اتّخذت لها لسان الملايالام لغةً طقسيّة، هي اليوم في تقدّم وازدهار. أمّا الفئات النسطوريّة فقد تطرّقنا إليها في أعلاه.

ليتورجيا السريان الشرقيّين

سبق وقلنا إنّ ليتورجيا الكنيسة السريانيّة الشرقيّة تُثّبت في

القرن السابع على يد البطريرك إيشوعياب الثالث. السنة الطقسيّة فيها تتركّز على عيد الفصح، وبصورةٍ ثانويّة على عيدَي الميلاد والدَّنح (الظهور)، وتُقسم إلى أزمنةٍ تُدعى «شَبُوعِه» (السُبُوع). فلكلٍّ من الأزمنة السبعة الأساسيّة سبعة آحاد، هٰذا بصورةٍ مبدئيّة. ويتقدّم جميعها كما يلي جميعها زمنان، لكلٍّ منهما أربعة آحاد.

وإليك سلسلة الأزمنة مع تسميتها بالكلدانيّة: البشارة (شُوبارا)، الدَنح (دَنحا)، الصوم (صَوما)، القيامة (قيامتا)، الرسل (شْلِيحِه)، الصيف (قَيطا = القيظ)، إلياس (إيليا)، موسى (مُوشِه)، وتقديس البيعة (قُدّاش عِيتّا).

صلاة الفرض اليوميّة تشتمل على: فرض الصباح (صَفرا)، وبعد الظهر (رَمشا)، والمساء (سُباعا)، والسهر (شَهْرا)، والليل (لِلْيا)؛ إلاّ أنّه لا يُتلى فعلاً في الرعايا سوى الفرضين الأوّلين. وانطلاقًا من عيد الصعود (سُلاقا) يُحْتفَل بالفرض في رواق الكنيسة الخارجيّ (بيث صْلُوثا) ويُعاد الدخول إلى الكنيسة بدءًا من الأحد الأوّل للتقديس (أحد الدخول أو المَعَلْثا). وفي الداخل يُتلى الفرض على البِيما (البيم).

تُستخدَم في القدّاس ثلاث ليتورجيات: في الأيّام العاديّة

ليتورجية القدّيسَين أدّي وماري رسُولَي الشرق؛ في الآحاد والأعياد، من البشارة إلى الشعانين، ليتورجية ثاوذورس المصّيصيّ؛ وليتورجية القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم خمس مرّاتٍ في السنة: يومَ خميس الأسرار وفي أعياد الدنح ويوحنّا المعمدان والآباء اليونان واليوم الثالث من صوم نينوى (البَعوث).

ترتيب المعابد السريانيّة الشرقيّة

ترتيب بناء الكنائس جدٌّ غنيٌّ بالرموز. الكنيسة موجَّهة إلى الشرق، وتُقسم إلى قسمين: هيكل المؤمنين وفيه جزءان، أحدهما للرجال والآخر للنساء، وهو يمثّل الأرض، وقدس الأقداس. في وسط الهيكل يقوم البيم وهو يرمز إلى أورشليم، وفيه تُتلى صلوات الفرض، إلاّ خلال الصيف، ويجلس الإكليروس إبّان القسم الأوّل من القدّاس. وفي وسط البيم، أي في وسط الهيكل، تقوم «الجلجلة»، موضع الصليب.

قدس الأقداس يرمز إلى السماء، وينفذون إليه من ممرٍّ ضيّق يُدعى «شْقَقُونا»، يليه الباب الملكيّ يردفه الستار؛ ولا يفتح الباب إلاّ للأسرار (رازِه)، ولا بدخله القرّاء بل يقومون عند العتبة (القُسترُوما). أمّا الشدايقة فيمكنهم التقدّم حتّى

قنديل الوسط، في حين يستطيع الشمامسة الوصول إلى درجات الهيكل، ولا يرقاها إلاّ الكهنة.

لغرفة المعموديّة بابان ويدخل الموعوظون من بابها الخارجيّ، وبعد عمادهم يدخلون الكنيسة من الباب الداخليّ. أمّا غرفة ذخائر الشهداء (بيث قَدِّيشِه) فيمكن ولوجها من جهة الرجال وجهة النساء معًا.

مخطّط الكنيسة السريانيّة الشرقيّة

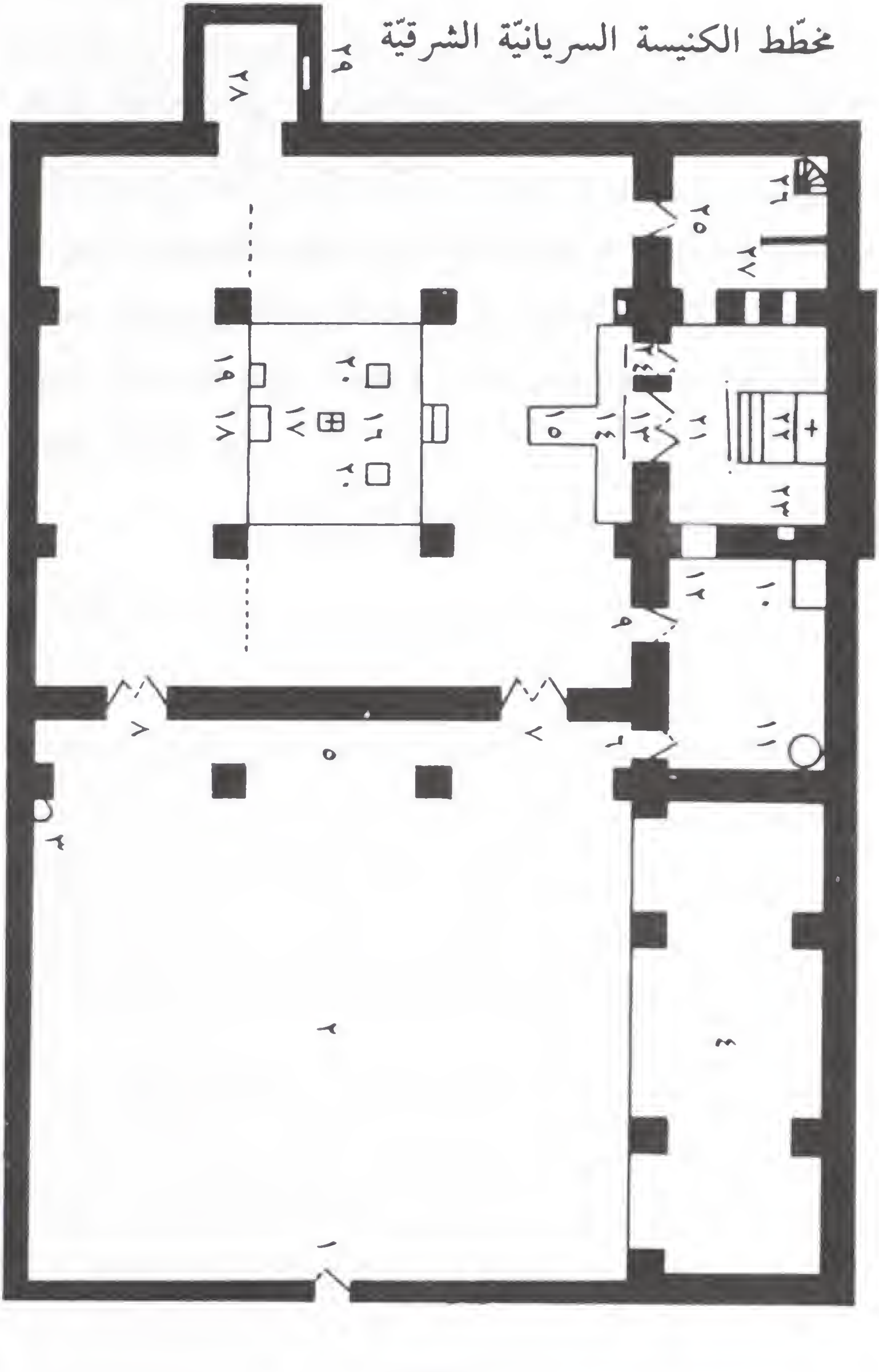

شرح المخطّط

١ ـ الباب الخارجيّ. ٢ ـ الفناء. المقبرة. ٣ ـ البئر. ٤ ـ أروقة الصلاة الصيفيّة. ٥ ـ المدخل. ٦ ـ الباب الخارجيّ لغرفة المعموديّة. ٧ ـ باب الرجال. ٨ ـ باب النساء. ٩ ـ الباب الداخليّ لغرفة المعموديّة. ١٠ ـ المائدة. ١١ ـ جرن المعموديّة. ١٢ ـ نافذة. ١٣ ـ الباب الرئيسيّ لقدس الأقداس، مع الستار. ١٤ ـ العتبة (قُسترُوما). ١٥ ـ الطريق الضيِّق (شْقَقُونا). ١٦ ـ بيم. ١٧ ـ الجلجلة. ١٨ ـ كرسيّ الأسقف. ١٩ ـ مقعد رئيس الشمامسة. ٢٠ ـ المِقرأان (للعهد القديم والرسائل). ٢١ ـ قنديل وسط قدس الأقداس. ٢٢ ـ المذبح. ٢٣ ـ مشكاة (رَوْزَنَة) الكنز لحفظ الكأس والصينيّة والخمير المقدَّس. ٢٤ ـ الباب الأصغر. ٢٥ ـ الموهف أو السكرستيّة (بيت ذِياقُون). ٢٦ ـ الدرج الصاعد إلى الفرن. ٢٧ ـ مخزن الزيوت. ٢٨ ـ غرفة ذخائر الشهداء. ٢٩ ـ مشكاة الذخائر.

بعض المصادر

- ألبير أبونا: «**آداب اللغة الآراميّة**»، بيروت، ١٩٧٠.
- حبيب زيّات: «**الديارات النصرانيّة في الإسلام**»، بيروت، ١٩٣٨.
- أدّي شير (المطران): «**تاريخ كلدو وآثور**»، المجلّد الثاني، بيروت، ١٩١٣.
- أدّي شير (المطران): «**شهداء المشرق**»، جزآن، الموصل، ١٩٠٠.
- سليمان صائغ: **تعريب مقالة الكردينال تيسران في الكنيسة النسطوريّة**، الموصل، ١٩٣٩.
- بطرس نصري: «**كتاب ذخيرة الأذهان**»، جزآن، الموصل، ١٩٠٥ و١٩١٣ (الجزء الثاني غير كامل).

محتويات الكتاب

البدايات ٥
الاضطهادات ٨
الرهبانيَّة ١٠
النزاعات العقائديَّة والمجامع ١٢
آخر سني الساسانيِّين ١٤
جاثليق عظيم: إيشوعياب الثالث ١٥
الإسلام ١٧
البطريرك الكبير طيمثاوس الأوَّل ١٩
من وفاة طيمثاوس إلى سقوط بغداد
(٨٢٣ - ١٢٥٨) ٢١
المغول ٢٣
الجاثليق التركيّ المغوليّ العظيم يهبالاها الثالث ٢٥
السنون المظلمة وانبعاث النور ٢٨
سولاقا، أوَّل بطاركة «الكلدان»، وخلفاؤه ٣٠
بطاركة ديار بكر الكلدان ٣٢
بطاركة بابل الكلدان - السلسلة الثانية - وأزمة الملبار ٣٣
البطريركيَّة الكلدانيَّة حتّى أيّامنا ٣٦
الفرع الذي لم ينتم إلى الكثلكة ٣٧

الاضطرابات والتشتُّت ٣٩
انشقاقٌ جديد ٤١
السلطتان الكنسيّتان ٤٢
كنيسة السريان الملبار ٤٣
السلطة الكنسيّة الكاثوليكيّة المحلِّيّة ٤٥
ليتورجيا السريان الشرقيّين ٤٦
ترتيب المعابد السريانيّة الشرقيّة ٤٨
بعض المصادر ٥٢

صدر من «موسوعة المعرفة المسيحيّة»

تاريخ الكنيسة

١ ـ الكنيسة السريانيّة الشرقيّة

تصميم الغلاف: **جان قرطباوي**

تنضيد الحروف وتركيب الصفحات: **شركة الطبـع والنشر اللبنانيّـة (خليل الديك وأولاده)**

الطباعة: **مطبعة دكّاش**

٧٩ - ٣ - ٩٠/٨/١٥

موسوعة
المعرفة المسيحية

تاريخ الكنيسة

١

الكَنيسَة السُّرَيانيّة الشَّرقيّة

بقلم
الأب جان موريس فييه
الدّومنيكيّ

نقله إلى العربيّة
الأب كميل حشيمه اليسوعيّ

دار المشرق
بيروت